مجلة دراسات القدس الإسلامية (شتاء 1998م)، 1:2، 17-36

القدس: النقطة المركزية في حياة صلاح الدين

فارس كلوب

جامعة لندن

كثيراً ما ادعى سياسيون عبر التاريخ أن الله معهم، ولكن نادراً ما كان لدى بعض الزعماء أدلة تدعم هذا الإدعاء كما كانت لدى يوسف صلاح الدين بن أيوب. فخلال عمره حظي هذا الضابط الصغير نسبياً في الجيش السوري بسلسلة من الظروف المناسبة أوصلته إلى سدة الحكم في مصر ثم في سورية، ومكنته بعد ذلك من إلحاق هزيمة ساحقة بمملكة القدس الصليبية في معركة حطين، ومن تحقيق أعظم انتصار في حياته، ألا وهو تحرير القدس من الصليبيين. وفي بداية هذه المقالة، لابد من دراسة الظروف التي كانت سائدة في المنطقة التي عاش فيها صلاح الدين، لأن هذا ضروري لتمكيننا من فهم سيرة حياته العملية وتقييم إنجازاته تقييماً موضوعياً.

فخلال العقود السابقة لولادة صلاح الدين، عانى المشرق العربي من الضعف بسبب عدم كفاءة حكامه. فكانت هنالك عداوة شديدة بين أعظم دولتين في ذلك العصر: الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة، وفي كل منهما كان الخليفة حاكماً صورياً، فيما كان يقوم حاكم عسكري مستبد بلقب سلطان أو وزير بممارسة السلطة الفعلية. فكانت سورية مقسمة إلى دويلات يغار حكامها بعضهم من بعض أكثر من حرصهم على مقاومة الغزو الصليبي. فعلى سبيل المثال، حالت الكراهية بين الأخوين: رضوان حاكم حلب، ودقاق حاكم دمشق، دون تقديم أي مساعدة للدفاع عن أنطاكية، ومنع إستيلاء الصليبيين عليها عام 1098م. أما حاكم طرابلس – فخر الملك – فتواطأ مع الحملة الصليبية الأُولى عام 1099 بسبب عداوته مع حاكم دمشق.[1] وعندما أرسل دقاق جيشا لمحاربة الصليبيين في لبنان، زود فخر الملك الصليبيين بمعلومات مكنتهم من إحباط حملة دقاق.[2] ولم يمنع تواطؤ فخر الملك، الصليبيين من

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

إنتزاع طرابلس منه.[3] وينتظر مصير مماثل الزعماء العرب الذين يتواطئون مع إسرائيل في وقتنا الحاضر، ولكنهم لم يدركوا ذلك على ما يبدو. فنادراً ما يكلف السياسيون أنفسهم قراءة التاريخ، ناهيك عن إستخلاص العبر منه.

كان أهم إنتصار عسكري حققته الحملة الصليبية الأُولى إستيلاءها عام 1099م على مدينة القدس التي ارتكبوا بحق سكانها إحدى أسوأ المجازر في التاريخ. ولم تقتصر ضحاياها على المسلمين فحسب، بل جمعوا أعضاء الجالية اليهودية في كنيسهم وأضرموا فيه النار فماتوا حرقاً. حتى أن سكان المدينة المسيحيين عانوا من وحشية الصليبيين.[4] وأصبحت القدس عاصمة الدولة الصليبية الرئيسة، والتي عرفت بإسم مملكة القدس الصليبية.

توفي دقاق عام 1104م، وقام أحد حكام دمشق من بعده معين الدين أنر بتوقيع معاهدة تحالف مع مملكة القدس الصليبية[5] ضد حاكم الموصل وحلب عماد الدين زنكي، الذي كان أقدر قائد مسلم في النصف الأول من القرن الثاني عشر. وتمكن زنكي عام 1144م من إستعادة أول موقع رئيسي من الصليبيين، ألا وهو مدينة الرُّها، عاصمة إمارة صليبية تأسست عام 1098م شرقي نهر الفرات. وشكل ذلك ضربة قاسية أدت بدول أوروبا الغربية إلى إرسال الحملة الصليبية الثانية بقيادة الملك الفرنسي لويس السابع والملك الألماني كونراد الثالث. إرتكبت الحملة الصليبية الثالثة خطأ باعتدائها على دمشق، مما أجبر معين الدين أنر على الإستعانة بنور الدين محمود، نجل عماد الدين زنكي الذي كان قائداً عسكرياً مثل أبيه. وعندما توفي أنر في العام التالي، رحب أهل دمشق بنور الدين أميراً لهم. وتتويجاً لسيطرته السلمية على دمشق، تزوج من إبنة معين الدين أنر.[6] وبدأ الميزان يميل ضد الصليبيين.

وأهم من تلك الأحداث المذكورة، كانت التيارات التي طورت وعي السواد الأعظم من الناس في العالم الإسلامي بتغيير عقلياتهم وعواطفهم إلى إتجاهات مكنتهم من القيام بواجبهم في الجهاد من أجل تحرير بيت المقدس. فأثناء الحملة الصليبية الأُولى، بدأ علي بن طاهر السلمي – أحد علماء دمشق – مساعيه لتوعية الرأي العام لمقاومة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

المحتل. فخطب في المساجد يدعو المسلمين إلى توحيد جهودهم، مؤكداً أن على كل مسلم واجباً في الجهاد ضد المحتلين. وهو الجهاد الذي كثيراً ما تقوم وسائل الإعلام الغربية، وأطراف أخرى ليست جاهلة بتشويه مفهومه في وقتنا الحاضر، وتصوره على أنه شبيه بالحرب المقدسة حسب المفهوم الغربي – التي هي حرب عدوانية أبعد ما تكون عن معنى الجهاد – فالجهاد هو كفاح ضد العدوان للدفاع عن المسلمين وأرضهم، أو ضد الإحتلال أو الطغيان أو الإضطهاد، وللدفاع عن حرية العقيدة، وهي بالتالي حرب عادلة.

ولنشر أفكار المقاومة بين عامة الناس، قام تلامذة السلمي بجمع خطبه في مجلد أسموه كتاب الجهاد.[7] وفي الوقت نفسه كانت روح التصوف تنشر الوعي الديني بين عامة الناس وتقرّب الأفراد من خالقهم. فالقرآن الكريم يؤكد أن الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد،[8] ويتعين علينا تطوير وعينا بهذا القرب، ليكون وعياً متواصلاً لما يريده الله منا، وهذا هو جوهر التصوف. إن الخطوة الأُولى التي يجب أن يتخذها الإنسان هي تطوير العلاقة الصحيحة مع الله عز وجل، بالإستسلام لإرادته بشكل كامل، وهذا هو معنى الإسلام. وصحة هذه العلاقة هي الشرط الضروري لتطوير العلاقات الصحيحة مع الآخرين، ومع المجتمع، وللقيام بواجبنا في تصحيح عيوب المجتمع.

بذل كل من نور الدين محمود وصلاح الدين جهوداً عظيمة لتعزيز الحركات الصوفية. وبالفعل يمكن وصف نور الدين بأنه كان أول دليل على وصول روح التصوف إلى الطبقة الحاكمة. فوالده عماد الدين زنكي كان قائداً عسكرياً عظيماً، ولكنه لم يكن رجلاً ربانيا. فعلى الرغم من الإحترام الواسع الذي حظي به لإنجازاته العسكرية في الدفاع عن الإسلام إلا أنه اشتهر بقسوته. غير أن نور الدين حظي بإحترام واسع لتقواه وإخلاصه لله، وعرف بالملك العادل بسبب تمسكه بأمر الله القائل "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل".[9]

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

كان صلاح الدين يبدو سيء الطالع عندما ولد عام 1138م. ففي يوم ولادته فصل والده نجم الدين أيوب من وظيفته كقائد قلعة تكريت، واضطرت أسرته في ليلة من ليالي الشتاء القارس[10] إلى الهروب مع وليدها. إلا أن الله حماه وتحولت الأمور لصالحه بعد ذلك. فعندما ذهب والده إلى عماد الدين زنكي الذي كان يدين له بمعروف سابق، تذكره زنكي بالخير وعينه حاكماً على بعلبك. وبعد مقتل زنكي، دخل أيوب في خدمة دمشق وأصبح قائداً لجيشها في وقت لاحق. أما شقيق أيوب – أسد الدين شيركوه – فأصبح ضابطاً في جيش نور الدين محمود، مما مكن الشقيقين من القيام بدور هام في الإعداد لترحيب سكان دمشق بنور الدين، الذي أضحى حاكمها عام 1149م بعد فشل الحملة الصليبية الثانية. وبذلك سيطر نور الدين على جميع أنحاء سورية تقريباً وأصبح أقوى حاكم في العالم الإسلامي، وانضم أيوب إلى خدمته.[11]

ونظراً لكون كل من أبيه وعمه ضابطين كبيرين في جيش نور الدين، كان من الطبيعي أن يصبح صلاح الدين عسكرياً. فلقد كان ضابطاً صغيراً في أواسط العشرينات من عمره عندما سنحت له أول فرصة للمشاركة في القتال. فعندما أطيح بالوزير شاور في مصر الفاطمية، الذي استعان بنور الدين ليعود إلى السلطة، أرسل نور الدين جيشاً إلى مصر بقيادة شيركوه، ورافق صلاح الدين عمه كمساعد له. ومن المفارقات أن صلاح الدين لم يذهب إلا على مضض في هذه المهمة التي وضعته على طريق النجاح.[12] وفي معرض تعليقه على ذلك، إقتبس بهاء الدين بن شداد – كاتب سيرته – قول الله تبارك وتعالى "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم".[13]

وافق نور الدين على مساعدة شاور ليحول بين أي تحرك للملك مُري – الذي أضحى ملكاً على مملكة القدس الصليبية عام 1162م – وبين توسيع نفوذه إلى مصر الذي ظهر جلياً عندما زحف بجيشه الصليبي إليها في 8 أيلول/ سبتمبر 1163م.[14] وعلى الرغم من فشل حملة مري، إلا أنها نبهت نور الدين إلى نواياه للسيطرة على مصر. وبمرافقته لعمه إلى مصر إنضم صلاح الدين إلى حملة كان لها أثر حاسم على الصراع بين المسلمين والصليبيين. فلقد إستفاد شاور من جيش نور الدين لإستعادة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

السلطة ولكنه لم ينو في المقابل التقيد بإلتزاماته مع حاكم دمشق، والتي شملت وعداً بسيادة نور الدين عليه ودفع ثلث موارد مصر إليه.[15] وعندما ألح شيركوه عليه أن يفي بإلتزاماته، كتب شاور إلى الصليبيين مستنجداً، ومحذرهم من أن نور الدين يمكن أن يستولي على مصر.[16] فدخل جيش الصليبيين مصر،[17] وبعد معارك غير حاسمة[18] تم التوصل إلى حل وسط إنسحب الجيشان بموجبه من مصر.

كانت ثروة مصر الإقتصادية قادرة على تغيير ميزان القوى في الصراع، وفتحت الصراعات على الوزارة باب مصر على مصراعيه أمام التدخل الخارجي. وعاد شيركوه إلى دمشق وهو يعي المخاطر والفرص في مصر، وصمم على العودة للإستيلاء عليها قبل أن يستولي عليها الصليبيون.[19] وقاد حملتين أُخريين إلى مصر، رافقه في كل منهما صلاح الدين – الأولى في عام 1167م والثانية بعد ذلك بعام – وفي الحملة الثانية لشيركوه، حاصر الصليبيون القاهرة ولكنهم إنسحبوا منها عندما وصلها جيش شيركوه.[20] وعندما استولى شيركوه على القاهرة في النهاية، ألقى صلاح الدين القبض على شاور، الذي تم إعدامه بموافقة الخليفة الفاطمي، العاضد.[21]

ووفقاً للعادة السائدة في مصر الفاطمية، خلف شيركوه الوزير الذي كان قد طرده، ولكنه توفي بعد ذلك بأيام قليلة. وتم تعين صلاح الدين خلفاً له، وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره. ولقد تأثر صلاح الدين تأثرًا بالغاً من وجوده فجأة في منصب ذي مسؤولية كبيرة، وجعله يدرك حجم المهمة التي تنتظره. وذكر بهاء الدين بن شداد – مؤلف سيرة حياته – أن ذلك جعله يقلع نهائياً عن الخمر واللهو فيما بقى له من حياة، ويكرس نفسه للفقه والتصوف والدين. ونقل ابن شداد عن صلاح الدين قوله: **"عندما مكنني الله من أرض مصر, علمت أنه يريدني أن أفتح الساحل"**[22] (الفلسطيني).

لم يصبح صلاح الدين وزيراً بسهولة. فكان الكثير من رجال البلاط الفاطمي يطمحون في هذا المنصب، وتحالفوا مع الصليبيين في تآمرهم للوصول إليه. حتى أن العديد من كبار ضباط الجيش السوري إعتقدوا أنهم أقدر من صلاح الدين على شغل هذا المنصب، ورفضوا الإنصياع لأوامره. ومن المفارقات أن الشخص الذي رجّح كفة

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

الميزان بين القوى المتصارعة كان عاجزاً في معظم الأحيان، ألا وهو الخليفة العاضد، الذي كان ما يزال يتمتع بصلاحية واحدة مهمة، وهي إضفاء الشرعية على الوزير بتعيينه.[23] وهكذا فرض الأمر الواقع على خصوم صلاح الدين. كما كانت لديه القوة العسكرية اللازمة للإحتفاظ بالمنصب الذي ناله بطريقة شرعية. إحدى التفسيرات لإختيار العاضد أن بعض رجال البلاط أخبرته أن صلاح الدين كان أضعف قادة الجيش السوري وأصغرهم، وبالتالي سيكون من السهل للبلاط الفاطمي التأثير عليه. ولكن تقديرهم كان خطأ.[24] بالإضافة إلى ذلك، هنالك دليل على أن شيركوه ترك وصية بتعيين صلاح الدين خليفة له.[25]

بعض موظفي الدولة المصرية كانوا يؤيدون صلاح الدين لأنهم عدوه أكفأ قائد للدفاع عن مصر أمام الصليبيين، كان في مقدمتهم عبد الرحيم البيساني العسقلاني – المعروف بالقاضي الفاضل – وهو فلسطيني طرده الصليبيون من وطنه. وبصفته متعلماً، انضم إلى العمل الوظيفي في الدولة الفاطمية ورقي إلى منصب رفيع المستوى، كما ربط نفسه بصلاح الدين وأضحى أقرب مخلصيه، وعضواً قيادياً في إدارته.[26] ويعتقد كاتب سيرة القاضي الفاضل، أنه لما كان مستشاراً رسمياً للخليفة الفاطمي، فإنه لعب دوراً مهماً في إقناع العاضد بتعيين صلاح الدين.[27]

كان القاضي الفاضل يساعد صلاح الدين كثيراً في مهمة تغيير نظام مصر السياسي ومجتمعها. فلقد كان الفاطميون من الطائفة الإسماعيلية التي اتخذت موقفاً مثيراً للشبهة من الصليبيين، إن لم يكن متواطئاً معهم. غير أن صلاح الدين أعاد المجتمع المصري إلى الأغلبية السنية، وعزز الأفكار المتصوفة من أجل تقريب المسلمين من الله. ولقد تم تطهير العمل المدني في الدولة من المؤيدين للفاطميين في حملة قادها القاضي الفاضل، الذي كان على أقل تقدير على معرفة عميقة بالأفكار السياسية والدينية لمسؤوليهم الرسميين، وقادراً على تحديد الموالين لصلاح الدين من غيرهم. ولم تقتصر عملية التطهير على الإسماعليين فقط، بل شملت – كذلك – المسيحيين واليهود المتعاطفين مع الفاطميين أو الذين كانوا على اتصال مع الصليبيين. وهكذا تحول موظفو

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

الدولة المصرية إلى موظفي مؤسسة سيطر عليها أهل السنة.[28] فحدثت ثورة ثقافية وتربوية وإجتماعية في المجتمع المصري، وحل قضاة من أهل السنة محل القضاة الإسماعيليين، وتم تعيين المدرسين وأئمة المساجد وقراء القرآن الكريم بدقة، كما تم تأسيس كليات جديدة.[29] ونتيجة لتأثير هذه الإجراءات على الرأي العام تمكن صلاح الدين من تقويض شرعية الفاطميين، مع أن العاضد ظل إسمياً رئيس الدولة المصرية حتى وفاته من مرضه في أيلول/سبتمبر 1171، وهكذا انتهى النظام الفاطمي بموت العاضد، وبقي صلاح الدين حاكماً مطلقاً لمصر.

وبعد أن تم تعيين صلاح الدين وزيرًا في مصر، تردت علاقاته مع نور الدين. وربما كانت الخلافات بينهما حتمية بسبب ظروف صلاح الدين. فلقد ذهب إلى مصر كضابط في جيش نور الدين، وانتهى الأمر به إلى حكم ذلك البلد، وأصبح مسؤولاً بالدرجة الأُولى عن الدفاع عن مصر، وأضحى هذا الهدف وليس أوامر نور الدين، هو أهم عامل يحدد عملياته ضد الصليبيين، الأمر الذي جعل استمرار خضوعه لنور الدين مستحيلاً. وكان من الممكن في أفضل الحالات أن يظلا متحالفين – ولقد حدث ذلك في بعض النواحي، لأن مملكة القدس الصليبية كانت عدواً مشتركاً لهما – ولكن تحالفهما تعرض لتوترات شديدة. وشعر المؤرخ أبو شامة بأن الطبيعة البشرية جعلت الخلافات بين الزعيمين حتمية.[30]

ولم يصل الخلاف بينهما إلى حد الصدام المسلح. فالحقيقة أن القاضي الفاضل قام بدور إيجابي في مساعيه لتهدئة التوتر وحل الخلافات، بحيث كان على اتصال بنظيره عماد الدين الأصفهاني – كبير الموظفين الحكوميين في دولة نور الدين – وكانت آراؤهما متطابقة، فكل واحد منهما كان مخلصاً للإسلام وحريصاً على صيانة وحدة المسلمين ومنع أي توتر بين أعظم زعيمين مسلمين في ذلك العصر، إذ أن أي توتر قد يؤدي إلى تقويض هذه الوحدة أو إضعاف المقاومة للمحتل الصليبي.[31]

توفي نور الدين فجأة نتيجة لمرض في أيار/مايو عام 1174م، وترك ابناً في الثانية عشرة من عمره – هو الصالح إسماعيل – دون أي ترتيبات دستورية لخلافته.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

وكان الوضع خطيراً للغاية، لاستحالة قيام طفل في مثل هذا العمر بإدارة دولة كتلك التي حكمها نور الدين. فنشب صراع على السلطة بين أقوى القادة العسكريين، هدد بإغراق سوريه في حرب أهلية وتدمير كل ما أنجزه نور الدين. وفي رسالة كتبها صلاح الدين وأرسلها لأحد القادة السوريين، بين أن نور الدين أوضح له أن إسماعيل هو خليفته، وأنه تعهد لنور الدين بأن يكون لإسماعيل "سيفاً ضد أعدائه". وأمر صلاح الدين أن يدعى لإسماعيل كحاكم في خطبة الجمعة بمساجد مصر.[32] ومن خلال القاضي الفاضل، بقى صلاح الدين على اتصال بعلماء وقادة الفكر الإسلامي في سورية،[33] وعلى إطلاع مباشر عما كان يحدث في دمشق.[34] وبناء على دعوة عدد من الضباط في دمشق،[35] زحف صلاح الدين إلى سورية في تشرين الثاني/أكتوبر عام 1174م – أي بعد وفاة نور الدين بخمسة أشهر – ودخل دمشق دون إراقة دماء.[36] **ولقد أكد صلاح الدين أن ما فعله كان خطوة أساسية على الطريق لإستعادة بيت المقدس.**[37]

وتبع ذلك صراع بين صلاح الدين في دمشق – الذي أكد سعيه للإحتفاظ بوحدة مملكة نور الدين من أجل الدفاع عن الإسلام ضد الصليبيين – وبين خصومه الذين كان نجل نور الدين تحت سيطرتهم في حلب. ولقد دأب منتقدو صلاح الدين في زمانه ومنتقدوه من المؤرخين المعاصرين على إتهامه بالأطماع الشخصية والعائلية وتكريس وقته وطاقاته في محاربة المسلمين أكثر من الصليبيين. وإذا ما افترضنا جدلاً أنه ركز جهوده على محاربة الصليبيين فقط، وترك خصومه في سورية وشأنهم, ماذا كان سيحدث؟ دون أدنى شك، فإن سورية كانت ستظل مقسمة بين مملكتي دمشق وحلب الكبيرتين والعديد من الدويلات الصغيرة، التي كان يحكم كل منها قائد عسكري طموح، وكان الصليبيون يشجعون هذه الدويلات على الإقتتال، بعقد تحالفات مع بعضها ضد البعض الآخر. وكانوا سيركزون على التحالف مع خصوم صلاح الدين ضده، مما قد يضطره إلى القتال على أكثر من جبهة في آن واحد. لقد أدرك أنه حتى يستطيع قتال الصليبيين بنجاح، فليس أمامه إلا خيار واحد في هذه الحالة، ألا وهو

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

إعادة توحيد صفوف المسلمين ومملكة نور الدين, وحماية نفسه من الطعنات من الخلف.

ولقد استغرق الأمر تسع سنوات حتى تخلص صلاح الدين من خصومه في حلب عام 1183م. ورحب أهل حلب به، كما رحب به السكان في كل مكان أقام فيه حكمه تقريباً،[38] لأنهم عرفوا فيه على نطاق واسع، مسلماً صالحاً والأقدر على قيادتهم في الإنتصار على الصليبيين. ولم يكن ليرحب به لو كان مجرد غاز طامع كما ادعى خصومه. فبعد إحكام سيطرته على مملكة نور الدين، قام صلاح الدين بتنفيذ مشروعه، فقاتل الصليبيين واستعاد القدس. إن مسار التاريخ يبرر الأعمال التي قام بها صلاح الدين، لأنها أدت إلى النتائج التي قال بأنه كان يهدف إلى تحقيقها.

خاض صلاح الدين عدة معارك ضد الصليبيين خلال تلك الفترة. ولقد دفعت إنتصارات صلاح الدين، الملك بلدوين الرابع إلى مطالبته بهدنة لمدة عامين. ووافق عليها صلاح الدين، لأنها سمحت له بترتيب وضع سورية على الصعيد الداخلي. أما قومص طرابلس فلقد استنكر هذه الهدنة، ولكن صلاح الدين أسكته في عملية إستعراض للقوة.[39] واتضح من تلك الحادثة مدى التوتر القائم بين القومص وملك القدس، وهو ما استغله صلاح الدين في مرحلة لاحقة.

غير أن إنتصارات صلاح الدين تلك لم تعد أكثر من مناوشات صغيرة, ولم يتمكن من تركيز جهوده على حملة كبيرة ضد الدول الصليبية إلا بعد سيطرته على حلب في عام 1183. وفيما كان يحكم سيطرته على سورية، تطورت الأحداث في المملكة الصليبية في اتجاه أفاده بعد ذلك. فبعد وفاة نور الدين بشهرين، مات الملك مُري –كذلك – وخلفه بلدوين الرابع البالغ الثالثة عشرة من العمر والمصاب بالجذام. وتعين ريمون – قومص طرابلس – وصياً على عرش مملكة القدس.[40] وأبدى بلدوين صفات قيادية وتولى الحكم بشكل كامل عند بلوغه سن الرشد. ولكن مرض الجذام تفاقم بالملك بلدوين، وكان من الواضح أنه لن يعمر طويلاً. وكان وليام مونفيرا – زوج أخته سيبيلا – قد مات وتركها مع ابن صغير كان ولي عهد مملكة القدس. وفي

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

عام 1180م وصل فرنسي من طبقة النبلاء إسمه غي دي لوسنيان إلى القدس، وتزوجته سيبيلا.[41]

وانقسمت زعامة مملكة القدس إلى مجموعتين، قاد قومص طرابلس المجموعة الأكثر إعتدالاً منهما والتي شملت طبقة النبلاء الذين ولدوا في المنطقة، والذين كان العديد منهم من الجيل الثالث أو الرابع من سلالة الصليبيين الأوائل. وكان هؤلاء قد ترعرعوا في جوار الدول الإسلامية، وكانوا على إستعداد للتعايش معها. أما المتطرفون فتزعمهم سيبيلا، وأمها الملكة اغنس، وغي دي لوسنيان، والداوية، والفرسان الذين كانوا قد وصلوا حديثاً من فرنسا.

كان أسوأ هؤلاء المتطرفين صيتا رينو دي شاتيون، المعروف بإسم أرناط، الذي كان قد تزوج وريثة قلعة الكرك. ومن هذه القلعة المنيعة على قمة جبل، والواقعة على طرق القوافل بين سورية ومصر والجزيرة العربية، كان ينصب الكمائن لتلك القوافل، ويرتكب المجازر بحق المسافرين، ومن بينهم الحجاج – كما حدث عام 1181م[42] – وينهب أمتعتهم وممتلكاتهم.

تدهورت صحة الملك بلدوين لدرجة مكنت أمه وأخته من إقناعه بتعيين زوج أخته غي دي لوسنيان وصياً على العرش، غير أنه ألغى هذا التعيين بعد سنة. وفي أوائل عام 1185م, أعلن الملك الموشك على الموت إبن أخته الصغير ملكاً، بإسم بلدوين الخامس، وعين ريمون قومص طرابلس وصياً على العرش، واستبعد غي من وصاية العرش.[43] وفي آذار مارس عام 1185 مات بلدوين الرابع , وتولى ريمون الوصاية على العرش. وأعلن أن السلام هو الطريقة الوحيدة لبقاء المملكة، وعقد هدنة مدتها أربع سنوات مع صلاح الدين. غير أن بلدوين الخامس توفي في أيلول/سبتمبر 1186، وهو في التاسعة من عمره. فتحرك المتطرفون بسرعة وتوجوا غي ملكاً، الأمر الذي أغضب قومص طرابلس كثيراً، وأدى به إلى إبلاغ إبن أخ صلاح الدين بعزمه على التوصل إلى إتفاق مع المسلمين.[44] وفي أوائل عام 1187 إنتهك أرناط الهدنة بإستيلائه على قافلة كانت في طريقها من القاهرة إلى دمشق، وأسر ركابها، ورفض حتى أوامر الملك غي

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

بالإفراج عن الأسرى وإعادة ما نهبه منهم.[45] ولم يكن أمام صلاح الدين بديل عن القتال، لاسيما وأنه كان يتمتع بتأييد واسع في العالم الإسلامي لذلك البديل. وفي المقابل، إنقسم الجانب الصليبي إنقساماً عميقاً، واستغل صلاح الدين ذلك الإنقسام بدبلوماسيته المؤثرة.

وحشد الملك غي قواته، ولكن ليس لمحاربة المسلمين الذين كانوا يستعدون لشن هجوم على مملكته، بل كان ينوي مهاجمة القومص ريمون، الذي استنجد بصلاح الدين لمساعدته.[46] وعلى الرغم – مما يعرف حديثاً – بمصالحة اللحظة الأخيرة بين غي وريمون، كان إرتباك الجانب الصليبي واضحاً. فلقد حشد غي جيشه في صفورية بشمال فلسطين، بينما حاصر جيش صلاح الدين في 30 حزيران يونيو 1187 طبرية من الغرب.

وعندما عقدت القيادة الصليبية إجتماعها في صفورية، نصح ريمون بتفادي المعركة، لأن معسكر جيش صلاح الدين كان بجانب بحيرة طبرية، مما سيدفع الصليبيين لسير مسافة 15 ميل عبر منطقة جبلية تحت حرارة الشمس الحارقة من أجل الوصول إليه، ولاشك أنهم سيهزمون في تلك الحالة لا محالة. وفي معرض دعمه لحجته، قال ريمون إن المسلمين حتى إذا سيطروا على طبرية فإنهم كعادتهم سيصرفون جنودهم في الشتاء ليعودوا إلى منازلهم. وهكذا يستطيع الصليبيون السيطرة على المدينة مرة أخرى. غير أن أرناط ومقدم الداوية جيرار دي ريدفور إتهما ريمون بالخيانة وبمحاولة "مساعدة أصدقائه المسلمين" بهذه النصيحة.

وأقنع دي ريدفور الملك غي بالزحف لمواجهة صلاح الدين. وفي نهاية يوم من المسير عبر الجبال وتحت حرارة الشمس الحارقة، وصل الصليبيون إلى منطقة حطين بالقرب من طبرية وخيموا لقضاء ليلتهم بدون ماء. وفي صباح اليوم التالي، وجدوا أنفسهم محاصرين من قبل المسلمين الذين أشعلوا النار في الأعشاب اليابسة. وانهارت مقاومة مشاة الصليبيين من جراء الدخان والعطش. أما الفرسان فقاتلوا لبضع ساعات

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

ثم انهزموا، وتم أسر الملك غي وأرناط ودي ريدفور واقتيدوا جميعاً إلى خيمة صلاح الدين.

إستقبل صلاح الدين الملك غي بأدب جم، وناوله كوباً من ماء الورد المثلج ليشربه. فشرب الملك ثم أعطى الكوب إلى أرناط، ولكن صلاح الدين إعترض على ذلك التصرف،وقال أنه لم يعرض الماء على صاحب الكرك. فبموجب العادات العربية يتمتع الأسير بالأمان إذا ما قدم له الآسر طعاماً أو شراباً، وكان أرناط مجرم حرب وعد صلاح الدين بإعدامه. وبعد أن عدّد صلاح الدين جرائم أرناط الكثيرة، ضرب عنقه بسيفه، وتقدم الحراس وقطعوا رأسه عن جسده.[47]

أدرك صلاح الدين بأن انتصاره من الممكن أن يحفز الدول الأوروبية على شن حملة صليبية جديدة. وكان من الضروري حرمان القوات الأوروبية من أماكن إنزال سهلة، ولذلك قضى صلاح الدين الأسابيع اللاحقة في الإستيلاء على أكبر عدد ممكن من المدن الساحلية من الصليبيين.

وفي 20 ايلول/سبتمبر 1187م، حاصر صلاح الدين مدينة القدس، التي استسلمت حاميتها بعد بضعة أيام. وأبقى صلاح الدين على أرواح جميع الذين كانوا في المدينة بعد الإتفاق على شروط الفدية.[48] وخلافاً لما حدث عند إستيلاء الصليبيين على المدينة عام 1099م، لم ترتكب أي فظائع. وعادت المدينة المقدسة إلى الحكم الإسلامي المتسامح وأضحت مملكة القدس الصليبية وقتها دون عاصمتها.

ومما يشير إلى الأهمية البالغة التي أولاها صلاح الدين لبيت المقدس عنايته الخاصة بخطبة الجمعة الأُولى في المسجد الأقصى بعد التحرير. فلقد دعا أشهر الخطباء في زمنه إلى إعداد مسودات الخطب وتقديمها إليه. أما الخطبة التي إختارها فهي التي عكست بشكل واضح الأفكار التي أراد غرسها في عقول الناس بعد تحرير القدس. وكانت تلك الخطبة لقاض من دمشق إسمه أبو المعالي محيي الدين محمد بن علي بن زكي الدين. بدأت الخطبة بعبارات التبجيل والحمد لله عز وجل "على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره وتطهير بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره."

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

وأضاف قائلاً: "أبشر برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من إسترداد هذه الضالة من الأُمة الضالة, وردها إلى مقرها من الإسلام".

كما تطرق الخطيب إلى تاريخ القدس كمسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي عرج منه إلى السموات، وعن المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – الذي علم أتباعه التوحيد, وتلا قوله تعالى: "لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون"[49] و"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح إبن مريم"[50] و"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد "[51] فلم يذكر المسيح شيئا عن الثالوث أبداً، إنما هي فكرة وثنية أدخلها قسطنطين على النصرانية بعد ولادة المسيح بأكثر من 300 سنة.

ومن أهم المواضيع التي عالجتها تلك الخطبة ضرورة التواضع. وأكد الخطيب على أن هذا النصر العظيم هو من عند الله، ويجب الإعتراف بأنه نعمة من الله وليس إنجازاً بشرياً. ولقد شرف الله صلاح الدين وجنوده "بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة... واحرسوا هذه النعمة عندكم, بتقوى الله التي من تمسك بها سلم... وإياكم أن يستزلكم الشيطان, وأن يتداخلكم الطغيان, فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد, وخيولكم الجياد, وبجلادكم في مواطن الجلاد, لا والله ما النصر إلا من عند الله, إن الله عزيز حكيم".[52] ولقد كان هذا الخطيب مدركاً وهو يعد تلك الخطبة الهامة، بأن المسلمين إذا ما نسوا نعمة الله عليهم أو أغفلوا واجباتهم أمامه، فإنهم سيكونوا في خطر فقدان بيت المقدس مرة أخرى. وهذه هي الأسباب التى دفعت صلاح الدين لاختيار هذا العالم لإلقاء الخطبة.

وكما توقع صلاح الدين،جاءت الحملة الصليبية الثالثة بقوة غزو جبارة من أوروبا الغربية بهدف الإستيلاء على بيت المقدس مرة أخرى. وكان أعظم قادتها ملك إنكلترا ريتشارد قلب الأسد، وبعض الإقطاعيين من فرنسا مثل انجو ونورماندي. ومن الجدير بالذكر، أن كل من ريتشارد وصلاح الدين كانا أعظم قائدين عسكريين في

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

العالم في ذلك الزمن. ولقدخاضا عدداً من المعارك، قبل أن يبدأ ريتشارد بالزحف إلى قرية بيت نوبا – غربي القدس – آملاً في التقدم للإستيلاء على المدينة المقدسة.

ومن بيت نوبا تطلع ريتشارد إلى القدس من على قمة جبل أمامه، وتوقف هناك ودرس طبيعة الأرض المحيطة بالمكان وحلل الوضع العسكري، وأدرك أنه غير قادر على إنجاز هذه المهمة. فلم تكن لديه القوات المطلوبة للإستيلاء على القدس من المسلمين مرة أخرى. وحتى لو كانت لديه مثل هذه القوات، فإنه لن يتمكن من تموينها بالأغذية والماء خلال فترة الحصار الطويلة اللازمة لذلك. وفي إجتماع مع قادة الجيش الصليبي، قال لهم ريتشارد: "إذا أردتم التقدم نحو القدس، فلن أتركككم، بل سأكون رفيقكم، ولكن ليس قائدكم. سأتبعكم ولن أقودكم".[53] ولم يتطوع أحد لقيادة مثل تلك المغامرة، فجميع القادة الصليبيين الآخرين أدركوا أنه لن يكون في مقدور أحد منهم أن يقوم بذلك إذا عجز ريتشارد عنه. فتخلوا عن فكرة الإستيلاء على القدس مرة أخرى. وبفضل الله تعالى، أصبحت القدس في زمن صلاح الدين آمنة في أيدي المسلمين.

وفي الختام، لابد من دراسة الأسباب التي أدت إلى نجاح صلاح الدين. فلقد كان لكل من صفاته الشخصية، ومهارة قيادته العسكرية، وذكائه السياسي وإخلاصه لمبادئ الدين دور في ذلك النجاح. إن إخلاصه للإسلام جعله تقياً في حياته الشخصية، وحاكماً عادلاً، وهذا شيئ مهم للغاية. فالعديد من آيات القرآن الكريم تؤكد أن العدل يشكل صفة جوهرية من صفات القيادة الإسلامية، وهي صفة مفقودة لدى معظم حكومات العالم الإسلامي اليوم. وإذا لم يقتنع المواطنون بعدالة مجتمعهم، فإنهم لن يخلصوا لهذا المجتمع ولن يكونوا على إستعداد للتضحية من أجله.

كان هذا العدل هو المساهمة العظيمة التي قدمها الملك العادل نور الدين محمود – حتى قبل صلاح الدين – لأنه أعاد العدل إلى العالم الإسلامي بعد أن سحقه الطغاة التافهون. إن العالم الإسلامي اليوم في أمس الحاجة إلى قادة من أمثال نور الدين محمود وصلاح الدين ليحكموا بالعدل ووفقاً لأوامر الله وأخلاق الإسلام. فعلى الرغم

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

من بعض الخلافات التي كانت بينهما, كان صلاح الدين الخليفة الطبيعي لنور الدين، كزعيم يجسد العدل والأخلاق الإسلامية.

ولقد كانت الأخلاق الإسلامية هي العامل الحاسم في إدارة صلاح الدين لكل العمليات الحربية، فتصرفاته الشريفة والإنسانية كانت تذهل الصليبيين الذين لم يتعودوا من قبل على مفاهيم مثل الرحمة للمدنيين في زمن الحرب. لقد تأثرت مبادئ الفروسية الأوروبية تأثراً عميقاً من نموذج صلاح الدين الذي تعلم منه الصليبيون. وفي الحقيقة، فلقد أوجد الإسلام لأول مرة في القرن الأول الهجري مفهوم القانون الدولي الإنساني، وذلك عندما أرسل أبو بكر الصديق الجيوش الإسلامية لمحاربة الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، وأصدر أوامره الصارمة بعدم جواز إيذاء أو قتل المرأة أو الطفل أو الشيخ الكبير في السن، ولا إقتلاع شجرة مثمرة.

وكان من صفات صلاح الدين الأُخرى قدرته على إنتهاز الفرص، وقد سنحت له بعض الفرص العجيبة. ويقول البعض أن حظه كان جيداً للغاية. فكثيراً ما سنحت له هذه الفرص دون تخطيط، أو أحياناً مناقضة لخططه، كما حدث على سبيل المثال، عندما إضطر إلى مرافقة عمه شيركوه إلى مصر.

لكن الأمر كان أكثر من مجرد حظ. فلدينا في الإسلام مفهومنا للحتمية التاريخية كما جاء في قول الله تعالى: "و يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين".54 ففي الوقت الذي يدعي فيه الماركسيون أن عمليات التاريخ تنجم عن وسائل مادية بحتة، من خلال قوى الإقتصاد والصراع بين طبقات المجتمع، يؤمن المسلمون بأن الخالق سبحانه وتعالى هو المسبب الأول لكل ما في الكون وأنه هو الذي يحرك كل هذه القوى ويديرها، ويسيّر العمليات التاريخية في الإتجاه الذي خطط له، لتنفيذ إرادته. فالإسلام يعني الإستسلام لإرادة الله، ويجب على المسلم الإنصياع لخالقه، ليوجهه من خلال العمليات التاريخية، بحيث يصبح أداة لله، وتصبح حياته مساهمة صغيرة في تحقيق الغاية العظمى.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

وإذا ما درسنا بدقة الطريقة العجيبة التي تم بها تسيير صلاح الدين ليحقق هذا الهدف خلال فترة حاسمة من التاريخ، فسيتضح لنا تخطيط الله وتوجيهه. كما أن صلاح الدين لم ينجح إلا لأنه كان يعمل على أسس صالحة وُضِعَت إبان العقود الزمنية التي سبقته. ومن بين أولئك الذين ساهموا في وضع تلك الأسس علي بن طاهر السلمي وأتباعه، الذين لقنوا الناس مبادئ الجهاد، الذي كان بمثابة حرب تحرير عادلة لإستعادة القدس, ومقدسات المسلمين وأرضهم. وفي موازاة لبرنامج التوعية للجهاد وفي تكامل معه، إنتشر التصوف على نطاق واسع، على صعيد الجماهير العريضة، وشجع الأفراد على تطوير علاقاتهم الشخصية الوثيقة مع ربهم. وفيما كان الحكام التافهون للدويلات الصغيرة يتآمرون بعضهم ضد بعض ويخونون الإسلام ويتواطئون مع الصليبيين، كان الناس يغيرون ما بأنفسهم ومجتمعهم، ويستعدون لإستعادة القدس وصد الغزاة. وبعد وصولهما إلى السلطة، ساهم كل من نور الدين محمود وصلاح الدين مساهمة هائلة في نشر التصوف، بتقديم تبرعات سخية لتعزيز هذه الطرق وإقامة المراكز الصوفية.

إضافة إلى تكوين علاقة سليمة بين الإنسان وربه، وبين الفرد والمجتمع، فإن التصوف يمكن الإنسان أيضاً من تقييم الحياة الدنيا في إطارها الصحيح وإدراك حدوده, ليفهم أن القيمة الحقيقية هي في الآخرة. "إنا لله وإنا إليه راجعون".[55] فالمسلم لا يخشى الموت لأنه يعلم أنه ليس إلا باباً يجب أن يمر من خلاله إلى حياة أفضل. إن الذين يحبون الحياة الدنيا ويخشون الموت لن يستطيعوا أبداً تحقيق أي شيئ ذي قيمة. أما العلاقة التي يطورها التصوف بين الإنسان وربه فإنها تعطي الإنسان الشجاعة للقيام بما يجب لمكافحة الشر وتحرير مجتمعه، دون الخوف من القتل.

ولا يفهم كثيرون في هذه الأيام طبيعة التصوف الحقيقية، لأن محتالين حاولوا إستغلاله لأغراضهم الشخصية، شأنه شأن أمور أخرى كثيرة. فعندما يقوم مزيفون بتزوير أعمال فنية عظيمة، فإن هذا لا يعني أن الفنون بحد ذاتها سيئة، وإنما يتعين علينا التمييز بين الحقيقي والمزور. والتصوف الحقيقي يشكل قوة روحية عظيمة تغير حياة الإنسان بتطوير علاقة شخصية وثيقة بينه وبين الله عز وجل، مما يمكنه من تغيير

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

المجتمع. " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".[56] فعندما غير القوم ما بأنفسهم، فإن الله غير مابهم ومكنهم من تحرير القدس تحت قيادة صلاح الدين. وعلينا أن نتوقف عند هذه النقطة خاصة وأننا بحاجة إلى إعادة القدس وتحريرها مرة أخرى.

---

1 P.M. Holt, *The Age of the Crusades: The Near East from the Eleventh Century to 1517* (Longman, London & New York, 1996), p. 22.

2 Amin Maalouf, *Les Croisades vues par les Arabes* (J-C Lattes, Paris, 1986), pp. 77-79.

3 Holt, *The Age of the Crusades*, pp. 24-25.

4 Ibid., p. 22; Maalouf, *Les Croisades vues par les Arabes*, p. 67.

5 Holt, *The Age of the Crusades*, pp. 27-28.

6 Maalouf, *Les Croisades vues par les Arabes*, pp. 139, 144, 163-166; Holt, *The Age of the Crusades*, pp. 41-45, 55.

7 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني (526-596 هـ/1131-1199م):دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1993)، ص 212-216.

8 سورة ق، الآية رقم 16.

9 سورة النساء، الآية رقم 58.

10 قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992)، ص 151-153.

Stanley Lane-Poole, *Saladin* (G.P. Putnam's Sons Ltd., London & New York, 1926), pp. 5-6, 65.

11 Maalouf, *Les Croisades vues par les Arabes*, pp. 166-170.

12 بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (مطبعة النمر، القاهرة، 1903) ص 23.

13 سورة البقرة، الآية رقم 216.

14 تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إتعاظ الحنفاء؛ أُنظر أيضاً شمس الدين أحمد بن محمد بن خليكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، الجزء الأول، ص 145؛ أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، الجزء الأول، ص 130.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

15 أبو الحسن علي عز الدين بن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، ص 465: المقريزي، إتعاظ الحنفاء الجزء الثالث، ص 204.

16 أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 131.

17 جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الأول، ص 140.

18 أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 131-132.

19 إبن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 23-24؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 142.

20 المقريزي، إتعاظ الحنفاء، الجزء الثالث، ص 299؛ إبن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الأول، ص 158؛ إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج. 10، ص. 13.

21 المقريزي، إتعاظ الحنفاء، الجزء الثالث، ص 300-301؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 157.

22 إبن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 26-27.

23 المقريزي، إتعاظ الحنفاء، الجزء الثالث، ص 307-308.

24 (24) إبن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء العاشر، ص 17؛ المقريزي، إتعاظ الحنفاء، الجزء الثالث، ص 308، وهامش رقم 4.

25 إبن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الأول، ص 168.

26 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 103-106.

27 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 117-119.

28 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 134.

29 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 136.

30 أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 173.

31 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 180-181; إبن الأثير، الكامل في التاريخ، العاشر، ص 59.

32 Malcolm Cameron Lyons & D.E.P. Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War* (Cambridge University Press, Cambridge, 1982), pp. 73-74.

33 هادية دجاني- شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ص 180-183.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

34 أبو شامة، كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص 598-602.

35 Holt, *The Age of the Crusades,* pp. 53-54.

36 Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* p. 81-83.

37 مراسلات فاضلي MS No. ADD 7465, British Museum, p. 222.

38 Lane-Poole, *Saladin,* pp. 172-173; Holt, *The Age of the Crusades,* pp. 55-56.

39 Lane-Poole, *Saladin,* pp. 154-161.

40 Holt, *The Age of the Crusades,* p. 53.

41 Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* p. 146.

42 Holt, *The Age of the Crusades,* pp. 56-57.

43 Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* p. 247.

44 Lieutenant-General Sir John Glubb, *The lost Centuries: from the Muslim Empires to the Renaissance of Europe: 1145 - 1453* (Hodder and Stoughton, London, 1967), pp. 96-97.

45 Ibid., p. 248; Glubb, *The lost Centuries,* p. 98.

46 Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* p. 98.

47 For comprehensive accounts of this battle, see Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* pp. 255-266; Lane-Poole, *Saladin,* pp. 205-215.

إبن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 49-53; قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ص 313-327; سعيد عاشور، الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986)، ص 525-636.

48 Lyons & Jackson, *Saladin: The Politics of the Holy War,* pp. 267-277.

إبن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 35-55; قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ص 327-347; سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص 537-650.

49 سورة النساء، الآية رقم 172.

50 سورة المائدة، الآية رقم 17.

51 سورة المائدة، الآية رقم 73.

52 نص هذا الخطاب في إبن خليكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، الجزء الثالث، ص 365-371.

53 Geoffrey de Vinsauf, *Itinerary of Richard I and Others to the Holy Land "translated as a "conjoint labour of a classical scholar and a*

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

gentleman well read in medieval history" (Henry G. Bohm, London,1948), p. 301.

54 سورة الأنفال، الآية رقم 30.

55 سورة البقرة، الآية رقم 156.

56 سورة الرعد، الآية رقم 11.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org